GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER

تولين

أمٌّ صغيرة



RABIE

casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين

أمٌّ صغيرة

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل



casterman





يُخيِّمُ السُّكونُ فَجْرَ اليومِ على مَنْزِلِ تولينَ ، لأنَّ شَقيقَها الصَّغيرَ ما يَزالُ نائِماً ، وأبا الشَّوارِبِ وطُبُوشاً . وما إنْ رَنَّ جَرَسُ المُنبِّهِ ، حتَّى نَهَضَتْ تولينُ سريعاً مِنْ سَريرِها . ولأنَّ والِدَيْها مُسافِرانِ اليومَ ، يَجِبُ عَلَيْها أنْ تنوبَ عَنْ أُمِّها في رِعايةِ أخيها الصَّغيرِ علاءٍ ، فهوَ على وَشَكِ أنْ يَسْتَفيقَ .

وعلى الفَوْرِ ، كشفَتِ السِّتارةَ عَنِ النَّافِذةِ وفتحَتْها ، فدخلَتِ الشَّمْسُ الغُرْفَةَ دونَ اسْتِئْذانٍ ، فيما الدِّيكُ يَصيحُ في حَديقةِ المنْزِلِ الّتي يَعْبَقُ بها الطِّيبُ ، مُؤذِناً بِوِلادةِ نَهارٍ مُشْرِقٍ وجَميلٍ .

وتطايَرتْ أحلامُ اللّيلِ ، وفتحَ الطّفلُ عَيْنَيْهِ ، وجالَ بِبَصَرِهِ في الغرفَةِ ، فَرأى العُصْفورَ يُطِلُّ بِرأسِهِ مِنْ ساعَةِ الحائطِ ويُصوِّتُ " كوكو - كوكو " . وأمَّا البَطّاتُ فوقَ وَرَقِ الجُدْرانِ ، فَتَبْدو وكأنَّها تَسْتَعِدُّ لأَنْ تُلْقيَ بِنفْسِها في البُحَيْرَةِ . وهَبَطَ أبو الشَّوارِبِ الدَّرجَ مُسْرِعاً ، لِيَتحقَّقَ مِنْ أنَّ الطِّفلَ قدْ نامَ نَوْماً مُريحاً .

وعِنْدما صَحَا علاءٌ وانْتَبَهَ ، حَمَلَتْهُ تولينُ بَيْنَ ذِراعَيْها ولمَّا بهرَتْهُ الشَّمسُ بضيائِها ، حاولَ حَجْبَها بِراحَتَيْهِ مُقَطِّباً .

" صَباحُ الخيرِ ، صَباحُ الخيرِ " .

قالَتْ له تولينُ ، وطبعَتْ قُبْلَةً على وَجْنَتِهِ ، لِيَطْمَئِنَّ بها .





(خَيْرُ ما يَستَهِلُّ بهِ الطِّفلُ نهارَهُ هو الاستحمامُ) هَذا ما سمعْتُهُ مِنْ أُمّي . ولكِنْ لِنَحْذَرِ الماءَ شَديدَ الحرارةِ .

لم يَكُنْ أمراً سهلاً أنْ تُحَمِّمَ تولينُ أخاها ، فهوَ لا يَكُفُّ عنْ ضَرْبِ الماءِ بيدهِ ، عَلَّهُ يُرَقِّصُ السَّمكةَ الحمراءَ ، والبَطَّةَ البيضاءَ . وحينَ أرادَ الوقوفَ داخِلَ المِغْطَسِ ، تَلَطَّخَ وَجْهُهُ بالصَّابونِ ، فما كانَ مِنْهُ إلاَّ أنْ مَدَّ لسانَهُ . فسارعَتْ تولينُ لإزالتِهِ حتَّى لا يُضايِقَ عَيْنيهِ .

وانتهى الاستحمامُ ، وما يَزالُ الطِّفلُ عارياً تماماً فوقَ الطّاولَةِ بَهِجاً . وراحَتْ تولينُ تَدْهَنُ بَشَرَتَهُ النّاعِمَةَ كالحريرِ بالطِّيبِ ، فالطِّيبُ يَجْعَلُها نَضِرَةً .

وقالَ طبُّوشٌ رافِعاً خَطْمَهُ إلى الأعلى : أمّا أنا ، فالعُطورُ تُسبِّبُ ليَ الصُّداعَ .

وحاوَلَ الطِّفلُ أن يُعبِّرَ بالإشارَةِ عَنْ رَغْبَتِهِ في العودةِ مُجدَّداً إلى أجْواءِ الماءِ ، غيرَ أنَّ وَقْتَ الاستحمامِ قَدِ انْتهى ، وعَلَيْهِ أنْ يَعودَ إلى ثيابِهِ بِسُرْعَةٍ حتّى لا يُصابَ بالبَرْدِ .





وأحَسَّتْ تولينُ بالارتباكِ ، إذْ كيفَ لها أن تُلْبِسَ أخاها الطِّفلَ ثِيابَهُ ؟ فلوْ كانَتْ أُمُّها حاضِرَةً ، لَفعلَتْ ذَلِكَ بِكُلِّ سُهولةٍ . ولَكِنَّ تولينَ استطاعَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَأْزِقِها .

وكانَ عليها أنْ تَتَوخَّى الحذَرَ وهي تَشْبِكُ الدَّبوسَ ، ونجحَتْ في ذلكَ .

ولَكِنْ لَمَّا أدْخَلَ الطِّفـلُ يدَهُ في كُمِّ ثوبِهِ ، عَلِقتْ وأبَتْ أن تَخرُجَ . إنَّما لحُسْنِ تَصرُّفِ تولينَ ، وتَحلِّيها بالهدوءِ والصَّبرِ ، توصَّلَتْ إلى إخراجِ يدِهِ ، وتمكَّنَتْ مِنْ عَقْدِ ثَوْبِهِ .



وشَرَعَ الطِّفلُ يَبْكي غاضِباً ، ولا شكَّ أنَّ تولينَ تُدْرِكُ جيِّداً سبب بُكائِهِ .

هوَ جائِعٌ ، وقد حانَ وقتُ الرَّضاعَةِ .

وعندما يجوعُ الرَّضيعُ ، يَنْبَغي علينا ألاَّ ندعَهُ يَنْتَظِرُ طويلاً .

وعلى عَجَلٍ ، بدأتْ تولينُ بِتَسْخينِ الماءِ في الغَلاَّيةِ . ولَكِنْ أينَ الحليبُ المُجفَّفُ ؟ وأينَ السُّكَّرُ ؟ وهلِ المِرْضَعَةُ نَظيفَةٌ ؟ لقدْ أحضرَتْ تولينُ كُلَّ ما تحتاجُهُ . بَقِيَ أنْ تَكيلَ الحليبَ والماءَ والسُّكَّرَ ، كما حدَّدَتْ لها أُمُّها المِقدارَ في المِرْضَعَةِ .

تولينُ تَعْرِفُ جيِّداً أنَّ الحليبَ الفاتِرَ يُناسِبُ الرَّضيعَ .

ولقدْ كَفَّ الطِّفلُ عَنِ البُكاءِ ، حينَ جعلَتْهُ تولينُ في حِضْنِها ، فراحَ يَرْضَعُ شَرِهاً ، فيما كانَتْ تولينُ تَنْظُرُ إليه سَعيدةً ، وقالَتْ لهُ وهيَ تَخْفِضُ المِرْضعَةَ : مَهلاً يا صَغيري وإلاَّ لأصابَكَ الفُواقُ .

وحينَ كانَ الطِّفلُ يُحَدِّقُ في السَّقفِ ، اختفتْ مَسْحَةُ الكآبةِ من عينيهِ ، وأمسكَ المِرْضَعَةَ بِكِلتا يَدَيْهِ . وأمَّا أبو الشَّوارِبِ ، فكانَ يَرْمُقُهُ ببصرِهِ ، ويُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلاً : " ليتَهُ يترُكُ شيئاً مِنَ الحَليبِ " .





وتَذَكَّرَتْ تولينُ ما قالَتْهُ أُمُّها قَبْلَ رَحيلِها : " إذا كانَ الطَّقسُ حَسَناً ، فَلْتَصْحَبِي أخاكِ إلى المُتَنَزَّهِ " .

ولِمَ لا ؟ فالشَّمسُ تَسْطَعُ في السَّماءِ .

وأخْرَجَتْ تولينُ عَرَبَةَ الطِّفلِ ، وجَهَّزَتْها بِوِسادَةٍ وَرْدِيَّةِ اللَّونِ ، وبِغِطاءٍ جَميلٍ مُطَرَّزٍ بِرُسومِ الأرانِبِ ، والعصافيرِ الملوَّنَةِ ، وقالَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَها : " لا يحتاجُ أخي إلى اللِّحافِ في هَذا الجَوِّ الحارِّ ، بل يحتاجُ إلى مِظَلَّةٍ تَقيهِ أشعَّةَ الشَّمسِ " .



وتَكادُ تولينُ أنْ تَطيرَ فَرَحاً وهِيَ تُنَزِّهُ أخاها في عَرَبَتِهِ الجميلَةِ .

وما إنْ دخلَتِ المُتَنَزَّهَ ، حتَّى سارعَتْ صَديقاتُها لِلقائِها . وسأَلَتْها جودي ، وقَدِ ارْتَسَمَتْ على ثَغْرِها ابْتِسامةٌ رقيقةٌ : أهوَ أخوكِ ؟

وأمَّا لارا فسألَتْها : وما اسمُهُ ؟

فأجابَتْها تولينُ : اسمهُ علاءٌ .

- يا لَهُ مِنْ طفلٍ ظَريفٍ ! وكَمْ عُمْرُهُ ؟

- لقدْ بَلَغَ شهرَهُ الثالثَ عَشرَ في الخامِسَ عَشَرَ منْ نَيْسانَ .

لَنْ يتوصَّلَ الطِّفلُ أبداً إلى النَّومِ في المُتنَزَّهِ وسـطَ صُراخِ الأولادِ وهمْ يَلْعبونَ لُعبةَ الاختباءِ . فقالَتْ تولينُ : لِنَعُدْ إلى المنْزِلِ .

وتَحْتَ المِظلَّةِ في فِناءِ المنْزِلِ ، ما لَبِثَ الطِّفلُ أنْ أغْفى . وقالَتْ تولينُ لطبُّوشٍ وهي تَضَعُ سبَّابَتَها على فَمِها : هلاَّ تَصْمُتُ ، وحَذارِ من إيقاظِهِ .

وذهبَتْ تولينُ على أطْرافِ أصابِعِها ، فيما جلَسَ أبو الشَّوارِبِ مُتربِّصاً فَوْقَ المقعَدِ ، وقد سادَ هُدوءٌ تامٌّ أرجاءَ الفِناءِ .





وبَغْتةً ، سُـمِعَ عَبْرَ نافذةِ المنْزلِ المفتوحةِ صَوْتُ جَلَبَـةٍ شَديدةٍ ، فَهُرِعَتْ تولينُ لِتتبيَّنَ حقيقةَ ما يَجْري .

لَقَدْ رأى أبو الشَّواربِ فَأْراً تحْتَ المقعَدِ ، فراحَ يُطارِدُهُ حتَّى وصَلَ إلى غُرْفَةِ الغَسيلِ . وحينَ كانَ يُلاحقُهُ ، أسْقَطَ المِكْنَسةَ فَوْقَ السَّـطلِ ، فَتدَحْرَجَ السَّـطلُ على الأرضِ مُحْدِثاً ضَجيجاً قَوِيّاً ، فاستَيْقَظَ الطِّفلُ هَلِعاً ، وطَفِقَ يبكي .



وضَمَّتْ تولينُ أخاها إلى صَدْرِها ، وهَدَّأَتْ مِنْ روعِهِ ، وقالَتْ لهُ : لا بَأْسَ يا صَغيري !

ولَمّا استعادَ الطِّفْلُ هُدوءهُ ، لم يَعُدْ يفكِّرُ إلاَّ في اللَّهوِ . لقدْ شاهَدَ حِصانَ التَّأَرْجُحِ يَدْعوهُ إلى اللَّعبِ .

كانتِ الجَلاجِلُ تُطَوِّقُ عُنُقَ الحِصانِ ، والشَّرائِطُ الحمراءُ تُزيِّنُ شَعْرَهُ . وما إنْ امتطاهُ الطِّفْلُ ، حتَّى راحَ يَتأَرْجَحُ تارةً إلى الأمامِ وطَوْراً إلى الخَلْفِ ، وكأنَّهُ حِصانٌ حَقيقيٌّ يَعْدو .

" هلاَّ تَبْتَعِدُ قَليلاً يا أبا الشَّوارِبِ ، لِكَيْلا تُعرِّضَ قائِمَتَيْكَ لِلأَذيَّةِ " .

وسُرْعانَ ما مَلَّ الطِّفلُ منْ حِصانِ التَّأرجُحِ ، فهو يريدُ أن يَمْشيَ .

ألَنْ يُصْبِحَ صَبِيّاً صَغيراً عمّا قريبٍ ؟ ألا يَدْفَعُهُ فُضولُهُ إلى أنْ يَتَعرَّفَ الأشياءَ الكَثيرةَ في العالَمِ ؟

ولأنَّهُ لا يُجيدُ المشيَ بعدُ ، فلا بُدَّ أنْ تَقومَ تولينُ بِمُساعدتِهِ ، ولا رَيْبَ أنَّهُ سَيصِلُ أطْرافَ الحديقةِ .



وها هُوَ ذا الخَروفُ الصَّغيرُ يَنْتَظِرُهُ سَئِماً فَوْقَ العُشْبِ .

– نَهارُكَ سعيدٌ ، أيُّها الخَروفُ الصَّغيرُ .

صَحيحٌ أنَّ الطِّفلَ لا يعرِفُ النُّطقَ بعدُ ، وبرَغْمِ ذَلِكَ ، يَفْهَمُ الجميعُ ما لم يقُلْهُ . وأمَّا الخَروفُ الصَّغيرُ فَلَنْ يتكلَّمَ أبداً . عِنْدَئذٍ ، راحَ الخروفُ يَتفاخَرُ بالقفزِ فوقَ العُشبِ بخِفَّةٍ وكأنَّهُ يقولُ للطِّفلِ : فَلْتُداعِبْني .

غَيْرَ أنَّ التَّوصُّلَ إلى مُداعبةِ الخروفِ الصَّغيرِ ليسَ سهلاً ، فهوَ دائِبُ الحركةِ ، ولا يَثْبُتُ في مكانٍ واحدٍ .





ها قَدْ شارفَتْ فَتْرَةُ ما بعدَ الظُّهرِ على نهايتِها ، ولَعَلَّ الهواءَ الطَّلْقَ جَعلَ الطِّفْلَ يَتشوَّقُ لِلْحَساءِ ، ويُلِحُّ في طلبهِ .

وأجْلَسَتْ تولينُ علاءً في كُرْسيِّهِ المزوَّدِ بِرَفٍّ صَغيرٍ ، وَوِسادَةٍ جَميلَةٍ .

ثُمَّ أحضرَتْ تولينُ مِلْعَقَةً وصَحْناً ، وأخذتْ تنفُخُ على الحَساءِ حتَّى يَبْرُدَ ، وكانتْ تقولُ لأخيها وهي تُلَقِّمُهُ الطَّعامَ : أهذهِ اللُّقْمَةُ لأبي الشَّواربِ ؟ وهذهِ اللُّقْمَةُ ، هل هي لحصانِ التَّأرجُحِ ؟ وأما هذهِ ، فهل تكونُ من نصيبِ الخروفِ الصَّغيرِ ؟

وأما طُبُّوشٌ فيدو وكأنَّهُ يقولُ : لا تَنْسَيني يا تولينُ !



هي ذي السَّماءُ قدْ أضاءتْها النُّجومُ . وحانَ وَقْتُ النَّومِ . ونزَعَتْ تولينُ ثيابَ أخيها . وألبسَتْهُ ثوبَ النَّومِ حتَّى يذهبَ إلى سريرِهِ ، لِيَغْفُوَ مع دُبِّهِ وأرْنبِهِ ذي الأُذُنَيْنِ الطَّويلتينِ .

وتساءلَ أبو الشَّــوارِبِ مُحدِّثاً نفســهُ : " ألَنْ يمنعَهُ الدُّبُّ مِنَ النَّومِ ؟ ألَنْ يتراكضَ الأرنبُ النَّشيطُ طَوالَ اللَّيلِ في الغُرْفَةِ ؟ " . ثُمَّ هزَّ ذَنَبهُ وكأنَّهُ يقولُ : سوفَ نلهو كثيراً في الغدِ .

وأضْجَعَتْ تولينُ أخاها الصَّغيرَ في سَريرِهِ ، وقالَتْ لهُ : أحلاماً سعيدةً يا صغيري .

وسُرعانَ ما استَسْلَمَ الطِّفلُ لِلرُّقادِ .

وعلى الرَّغمِ مِنْ حُبِّها العَظيمِ لأخيها ، فهي في آنٍ واحدٍ ، سعيدةٌ بِعَوْدَةِ والِدَيْها بَعْدَ حينٍ .

ومِمّا لا شَــكَّ فيه ، أنَّ رعايةَ طِفْلٍ ليومٍ بِأكْمَلِهِ ، ليسَتْ على الإطلاقِ مَهمَّةً سهلةً ! معَ أنَّها عملٌ لا يمكنُ وصفُ رَوْعتِهِ ، والتعبيرُ عن سعادتِهِ .



www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10118-0 ISSN 0750-0580





© CM1-18
ISBN 2-203-10118-0
6 214001 440183